

الوسطية في العقيدة الأشعرية

Moderate Ash'ari Doctrine

أوسالم محمد نذير * Oussalem Mohamed Nadir
جامعة وهران 1 أحمد بن بلة _ وهران-
(الجزائر) قرآنية mohammeduni2022@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/08/04

تاريخ القبول: 2024/03/20

تاريخ الإرسال: 2022/06/20

ملخص:

ليس من السهل إطلاق الأحكام على العقائد الإسلامية، ومن ذلك وصف إحداها بالوسطية، إلا بعد إحكام الأدلة الدالة على ذلك، ووجود مبرر يدعو الباحثين إلى محاينة الواقع، لحاجة ماسة تبين بعض ما غمض من الحقائق، من ذلك ما نراه من تجاذب بين تيارين اثنين أحدها يحتكر الانتماء إلى السلف وما كانوا عليه من صحة العقائد والتزامها بالأصلين، وثانيهما مذهب الأشاعرة الذين هيمنوا على الساحة العلمية منذ قرون، واتخذوا منهجا في تناول مسائل العقيدة الإسلامية بالمزاوجة بين العقل والوحي، والنص والتأويل، مما مكّنهم من مصارعة التيار العقلاني المتمثل في المعتزلة الذين عطّلوا نصوصها من صحاح الأحاديث، والتيار النصّي المتمثل في بعض الحنابلة، أو السلفية. في اصطلاح الأمدي. الذين اقتربوا من التجسيم في بعض أقوالهم. بعد النظر في كلام كثير من العلماء، كدت أجزم أن وصف الوسطية لم يكن صالحا إلا للمذهب الأشعري.

الكلمات المفتاحية: العقيدة؛ الوسطية؛ الأشعرية؛ المعتزلة، السلفية؛ التأويل

Abstract: It is not easy to pass judgments on Islamic beliefs, and this includes describing one of them as moderation, except after confirming the evidence indicating that, and the presence of a justification that calls on researchers to discuss reality, due to an urgent need to clarify some of the obscure facts, including what we see of the attraction between two currents, one of which is He monopolizes belonging to the Salaf and what they were upon regarding the validity of beliefs and their adherence to the originals ;And the second is the Ash'ari school of thought, who dominated the scientific arena for centuries, and took a method in dealing with issues of Islamic faith by combining reason and revelation, text and interpretation, which enabled them to struggle with the rational current represented by the Mu'tazila who disrupted texts from the authentic hadiths, and the textual current represented by some Hanbalis. Or the Salafis - in the terminology of Amidi - who came close

* المؤلف المراسل: mohammeduni2022@gmail.com

to embodying in some of their sayings. After looking at the words of many scholars, I was almost certain that the description of moderation was not valid except for the Ash'ari school.

Keywords: Doctrine; Ash'ari; Moderate; Mou'atazilit ; Salafism; Interpretation

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فالعقيدة الإسلامية واحدة، ذات أصل واحد لا يمكن الاختلاف حوله بين المسلمين مهما اختلفت فرقهم وتناقضت مذاهبهم، إنه التوحيد الذي يجمعهم جميعاً، أما المسائل الجزئية أو الفرعية، واختلاف أنظار الكلاميين حولها، فهي كثيرة ومتضاربة في كثير من الأحيان، ولكل فرقة أصولها التي تجمع آراءها، وتنظم فروعها، وتجعلها مستقلة عن سائر المذاهب والفرق، ومن هنا أتت مسألة الغلو أو الوسطية في تلكم الآراء، فبعد النظر والمقارنة بينها قد يحكم على إحداها بالاعتدال والوسطية وعلى غيرها بالغلو والتطرف، بمقدار قربها أو بعدها عن روح النص أو قربها وبعدها عن عقائد السلف ممن عايش النبي. صلى الله عليه وسلم. ومن جاء بعدهم من التابعين...

المسألة ليست سهلة، ولكن حينما نرجع إلى كثير ممن ألف في العقيدة نجد عنده مصطلح الوسطية، عند الاقدمين والمحدثين يحكمون به على هذه الفرقة أو تلك، والسؤال المطروح، لم تخص هذه الفرقة بهذا الحكم دون سواها؟؟.....

حينما يصف الواصفون عقيدة الأشعرية بالوسطية، لا يصح أن يردّ عليهم اعتراض على أن العقيدة لم تكن توصف في أول عهدها بذلك الوصف، فالجواب أن الوصف بالوسط لا يكون إلا عند وجود أطراف متنازعة، ولم تكن على العهد الأول، وكانت على عهد أحمد وأبي الحسن الأشعري، كما أن السلطة الدينية كانت في العهد الأول في يد الفقهاء الذي ملكوا حق التوجيه، ودانت لهم الشعوب، واستند إلى أحكامهم الحكام والمحكومون على السواء ؛ ومن أكبر القضايا التي يمكن الإشارة إليه: (ابن عمر مع القدر، ومالك مع الاستواء، وابن حنبل مع خلق القرآن، والشافعي مع الكلام).

1. تعريف الوسطية:

وسط الشيء: ماله طرفان متساويا القدر، ويقال ذلك في الكمية المتصلة كالجسم الواحد إذا قلت: وسطه صلب، وضربت وسط رأسه بفتح السين .

ووسط الشيء بالسكون، يقال في الكمية المنفصلة كشيء يفصل بين جسمين، نحو:

وسَطُ القوم كذا. والوسَطُ تارة يقال فيما له طرفان مذمومان؛ يقال هذا أوسطهم جسماً، إذا كان في واسطة قومه، وأرفعهم محلاً، وكالجود الذي بين البخل والسرَف، فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط، فيُمدح به نحو السَّواء والعدل والنَّصف، نحو قول الله: "وكذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا" (البقرة/143) وعلى ذلك أيضاً قوله تعالى: "قَالَ أَوْسَطُهُمْ" (القلم/48)، وتارة يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم، كالخير والشر، ويُكنى به الرِّذل، نحو قولهم فلان وسَطٌ من الرِّجال تنبهاً أنه خرج من حدِّ الخير. (الأصفهاني، 1417هـ/1997م، 869)

الوسطية إذا وُصف بها الدِّين أريد بها الفهم الوسط لهذا الدِّين، وسُلك فيه بشكل متوازن لا شطط فيه ولا تطرّف أو غلوّ، فالوسط إذن لها نسبة إلى الوسط الذي يحمل معنى العدل والفضل والأفضلية، وفيها معنى ما يكون بين طرفية، أحدهما مذموم والثاني منهما محمود، فهو ما كان بين طرفي الإفراط والتفريط.

حينما نقول بوسطية العقيدة فإننا ننسب إليها الأفضلية والتوازن والاعتدال وعدم الاختلال في تقرير الأحكام العقدية التي لا تقبل الميل إلى أحد الطرفين، الإفراط والتفريط كالتجسيم أو التعطيل في صفات الله.

2. حقيقة وسطية العقيدة:

قبل أن أتكلّم عن وسطية عقيدة ما، لا بدّ أن نكون وسطيين في التعامل مع الأفكار والمذاهب العقدية والآراء الفلسفية، أن نكون وسطيين بعقلانية علمية، ولا نستعمل النفي والرمي والتنكر، أو الوصاية على الحقّ، فالوسطية تقتضي الإنصاف والعدل في الأحكام، وعدم التحامل على المخالف بما لا تقبله العقول والشرائع، ولا يستقيم مع الآداب العامّة التي جاء بها الإسلام، واتصف بها هدي محمد ﷺ. ومن سار سيره من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين؛ فحيثما تكلمنا في موضوع كهذا علينا أن نراعي أسباب توحيد الصف، والدعوة إلى الحقّ والصواب والتي هي أحسن، ووسطية الاعتقاد هي أن نعتقد أن أهل السنة هم من يصلح لهم هذا الوصف، وأن أولى الناس به هم الأشعرية لأنهم هم جمهور الأمة وأهل الحديث والماتريدية، ويمثّل هؤلاء جميعاً أهل التصوف السُّني والأئمة الأربعة والظاهرية، فهؤلاء جميعاً تجمعهم دائرة واحدة، وكل من اقترب من هذه الدائرة اتصف بخصائصها وإن لم يتسمّ بأسمائهم، وكذلك فعل ابن تيمية، وإن آخر مرتبة الأشعرية عن مرتبة أهل الحديث، ولكن كانت لديه هذه النظرة الصائبة التي حملته على الاقتراب من

التصنيف الصحيح للفرق والمذاهب حسب اقترابها ممّا كان عليه النبيّ . صلى الله عليه وسلم . والصحابة . رضي الله عنهم .، وما عرف به التابعون وتابعوهم من أهل الحديث وأصحاب المذاهب الأربعة، وأهل التصوف كإبراهيم بن الأدهم وعبد الله بن المبارك والجنيد.... وهلمّ جرّا

فهؤلاء من يمثل هذه المدرسة الوسطية بحق، مجموعة في دائرة واحدة تكون أقرب إلى الحق من غيرها، وباجتماعها تكون إلبا على من سواها إذا كان الهجوم يريد الانقضاض على الجميع، وما أحوجنا أن نتأسّى بأبي حامد الغزالي الذي قام بالردّ على الفلاسفة اللادينيين في كتابه التهافت، واعترض عليهم بما قد يجده عند الفرق المهجورة آراؤهم عنده، ولكن المقارنة تقتضي الحكم الصائب، وأن تلك الفرق على ما فيها من انحراف أقرب إلى الحق وأركان الإيمان من سواهم من الفلاسفة اللادينيين، وفي ذلك يقول: "بل أجعل جميع الفرق إلبا واحدا عليهم، فإن سائر الفرق ربّما خالفونا في التفصيل، وهؤلاء يتعرّضون لأصول الدين فلننتظرهم عليهم، فعند الشدائد تذهب الأحقاد" (الغزالي، 2005م . 43)

3 الفرقة الأحقّ بوصف الوسطية:

الكلام عن العقيدة ليس أمرا سهلا، ولم يكن أبدا من سَقط المتاع، يخوض فيه الخائض دون ضوابط أو قواعد أو حدود، أو دون أثر من علم رصين، فالأحكام فيها ليست كسائر الأحكام، فمنهايتها إما إلى هدى أو ضلال، وإلى إيمان أو كفر، والأصل في العقائد أن لا توصف بالوسطية أو الاعتدال لأن الحق فيها واحد لا يتعدّد، وثابت لا يتبدّد، وإنما تمّ قبول هذا الوصف واستعماله في قضايا العقائد وجرى كثيرون على قبوله، لأن المقارنات بين تلك العقائد . (وأقصد بذلك كل من انجر من الفروع العقائدية عند الفرق الإسلامية تبعا لاختلاف أصولها) . التي انتشرت بين الناس تفاوتت بل وتباينت الأحكام فيها بين إفراط وتفريط، فمن محكّم للعقل تارك للآثار، ومن محكّم للآثار تارك للعقل، ومن يعمل بالأول حتى يقع في التجسيم، وبالأول حتى يقع في التعطيل، ومن يسرف في الثاني حتى يقع في التجسيم، وذلك ما لم يكن عليه السلف ومن سار على هديهم في عدم التجسيم والتعطيل، وربما جاز القول إن هؤلاء لم يخوضوا في مسائل العقيدة كخوض المتأخرين في الفرق جميعها دون استثناء، يقول محمّد بن الحسن . صاحب أبي حنيفة : " اتفق الفقهاء كلهم، من المشرق إلى المغرب، على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في صفة الرّب . عزّ وجلّ . من غير تفسير، ولا وصف، ولا تشبيه،

فمن فسّر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج عمّا كان عليه النبيّ. صلى الله عليه وسلّم. وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسّروا، بل أفتوا بما في الكتاب والسنة، ثمّ سكتوا. (الذهبي، 1401هـ/1981م. 59)، فسكوتهم دليل ترك الخوض فيما سهل الخوض فيه على من جاء بعدهم، وكذلك قال البيهقي: "أمّا المتقدمون من هذه الأمة فإنهم لم يفسّروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هذا الباب..." (البيهقي، 1376هـ. 407)

وعندما عاش المسلمون بعد تلك الأزمنة الأولى. الموصوفة في الأحاديث الصحيحة بالخيرية. سياقات زمانية أخرى راجت فيها الشبهات حول عقائد الإسلام، اضطر العلماء إلى الردّ والإجابة عن الأسئلة الشائكة، والمناظرة مع الخصوم، هنا لجأوا إلى التأويل، فكان موقفهم وسطاً بين السكوت والأخذ بالظاهر الموهوم بالتجسيم، يقول الجويني إمام الحرمين: "إنه إذا أزيل الظاهر قطعاً فلا بدّ بعده من حمل الآية على محمل مستقيم في العقول، مستقر في موجب الشرع، ولإعراض عن التأويل. حذرا من واقعة محذور في الاعتقاد. يجرّ إلى اللبس والإيهام، واستئلال العوام، وتطرّق الشبهات إلى أصول الدّين، وتعرض بعض كتاب الله تعالى لرجم الظّنون." (الجويني، 1369هـ/1950م. 42)

لا أتردّد في أن أقرّ هنا أن ما برّر به سكوت الصحابة قد ناسب زمانهم، ولا يلزم به من جاء بعدهم، قال: "ولما كان زمان السلف الأول زمان سكوت القلب بالغوا في الكف عن التأويل خيفة من تحريك الدّواعي وتشويش القلوب، فمن خالفهم في ذلك الزمان فهو الذي حرّك الفتنة وألقى هذه الشكوك في القلوب مع الاستغناء عنه فباء بالإثم. أما الآن وقد فشا ذلك في بعض البلاد فالعذر في إظهار شيء من ذلك رجاء لإمطاة الأوهام الباطلة عن القلوب أظهر واللوم عن قائله أقلّ..." (الغزالي، إ، دت، صفحة 331)

لذلك أقول إن قبول مثل هذا الوصف في خضم العقائد التي جاء بها الكتاب والسنة إنما هو تحصيل حاصل، وبالأحرى يدخل في تحديد المفاهيم الصحيحة، والتأويلات المناسبة لأوضاع الشرع وألفاظه وحدوده التي ارتضتها أجيال تلاحمت حلقاتها، وتوارثت أصول عقيدتها فجعلت منها فرقة وسطاً بين الفلاسفة والمعتزلة من جهة، وبين الحشوية والمجسّمة من جهة أخرى، واتخذت تلك الفرقة الوسط اسماً يقرّبها من سلف الأمة، فكانت بحقّ أهل السنة والجماعة واستحقت أن تكون هي الفرقة الناجية بمقتضى القرب من محكمات الكتاب والسنة وأصولهما، وبمقتضى المزاجية بين العقل والنقل، يقول سيف الدين الآدمي: "وأما الفرقة الناجية وهي الثالثة والسبعون، فهي ما كان على ما كان

النبي . صلى الله عليه وسلم . وسلف الصحابة .. وهذه الفرقة هي: الأشاعرة والسلفية من المحدثين وأهل السنة والجماعة، وذلك لأنهم لم يخالطوا أصولهم بشيء من بدع القدرية والشيعية والخوارج والمرجئة والنجارية المشبهة ... " (الأمدي، 1424هـ/2004م، 96/5)، فهذه المقاصد في بناء الفكر الأشعري . عند الغزالي وغيره من الأشاعرة . يجعلها أساسا للوسطية بعيدا عن كل تعطيل وتحريف للعقائد الصحيحة، التي جاء بها الدين القويم، وعمل بها المصطفى الكريم .

فالوسطية هي تلك الخيرية التي ضمنها النبي ﷺ . لتلك القرون الثلاثة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . عَنِ النَّبِيِّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ: " خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ "[أخرجه البخاري (2652)، ومسلم (2533)]، فشملت الصحابة والتابعين وتابعي تابعيهم، ولعل أن يكون أمثال أبي الحسن الأشعري من تلك القرون المفضلة، وكأني بقوله . صلى الله عليه وسلم: " الإيمان يمان والحكمة يمانية "[أخرجه البخاري (4388)، ومسلم (52)] يشملها ويشد من أزر من يؤيده. وتلك الخيرية . كما هو الشأن بالنسبة للوسطية . لا تتعلق بمجرد الزمان، وإنما تتعلق بمقتضى الاتِّباع.

فتلك الأزمنة حينما اتَّسمت بالاتِّباع، وحرَّصت عليه وتمسَّكت بتلابيب الهدي النبوي، واجتهد أصحابها على أن تكون حياتها الدينية والدنيوية وفق وحي الله وسنة نبي الله، كان لها ذلك التمييز والتميز، والفضل والأفضلية.

ليس من السهولة بمكان أن نصف طائفة دون أخرى بالوسطية، ولكن حسن المقاربة، والالتزام بالموضوعية قد يسهِّلان الوصول إلى الحكم الصائب ويلهمان الباحث وضع اليد على ما قيل أو يقال ثم يوازن ويقارن، أو يزن ويحكم تلك الأقوال إلى موازين صارمة، قد يهتدي من خلالها إلى الصواب أو الأصوب والمقبول أو المطروح.

العملية شاقَّة حينما تكون الأقوال متقاربة، أو الأصول المعتمدة واحدة، والدائرة التي ينتمي إليها الفريقان ذات محور واحد، كانتماء الأشعرية وأهل الحديث إلى دائرة أهل السنة والجماعة، ولكن قد نجد بينهما من النفور بدافع اتهام الأولى للثانية منهما بالحشوية تارة وبالجسمية تارة أخرى، وكذا ما ترمي به الثانية الأولى من المروق عن النصوص الشرعية وظواهرها، والميل إلى التأويل والعمل بالمجاز دون الحقيقة.

فبعد البحث ألفيت من وصف الأشعرية بالوسطية أكثر ممَّا وُصف بها غيرها، إلا ما

وجدته عند ابن تيمية من وصف للفرقة الناجية أهل السنة بالوسطية، وحينما ننعم النظر في مقاله، لا يمكن أن نخرجها من ذلك الإطار، وإن لم يرتض لها ذلك في كثير من المقالات المنثورة في كتبه، فالأشعرية ليست إلا فرقة ضالة مبتدعة، خالفت ما كان عليه أهل الأثر، وإن كانت الأقرب إليهم من سواها من الفرق كالمعتزلة والجهمية وغيرهما، يقول: "فإن الفرقة الناجية . أهل السنّة والجماعة . يؤمنون بذلك [يعني النصوص الدالة على أسمائه وصفاته] كما يؤمنون بما أخبره في كتابه العزيز، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل ؟ بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم . فهم وسط في (باب صفات الله) سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشيئة، وهم وسط في (باب أفعال الله تعالى) بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي (باب أسماء الإيمان والدين) بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، و(في أصحاب رسول الله ﷺ) . بين الروافض والخوارج." (ابن تيمية، دت، 141/3)

مثل هذا التصنيف قد يتبعه كثير من أنصار الفكر التيمي، ولكن الجمهور والكثرة الكاثرة على أن الوصف بالوسطية لا يصلح له إلا الأشعرية، وقد جمعت في ذلك عشرات النقول عن الأقدمين والمحدثين، وكلهم تمالاً على إلحاق ذلك الوصف بالأشعرية دون من سواهم .

4 . الوسطية بين الأشعرية والسلفية:

أكتفي هنا ببعض النقول عن أشهر الناظرين في مسائل الاعتقاد، والباحثين فيه من علماء الإسلام وسواهم، وهذه بعض أقوالهم:

4 . 1 الخطيب البغدادي: " أما الكلام في الصفات، فإن ما روي منها في السن الصحاح، مذهب السلف رضوان الله عليهم . عل إثباتها وإجرائها على ظواهرها وفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاه قوم فأبطلوا ما أثبتته الله سبحانه، وحققها من المثبتين قوم فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه، والتكييف والقصد، إنما سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين . عز وجل . إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف" (ك، البغدادي، 1413هـ، 20)

4 . 2 / محمد أبو زهرة: "ومع اتفاق المذهب الأشعري مع آراء الفقهاء والمحدثين فيما شجر بينهم

وبين المعتزلة من خلاف، وأخذ بظواهر النصوص أخذا مطلقا لا يعتمد فيه إلى أي تأويل، كان بعيدا عن أهل الأهواء بعدا مطلقا، وفي الحقيقة إنّ النفي والإثبات والمتجاذبين لأطراف النزاع من المعتزلة من الحشوية والجبرية، وإن الدارس لحياة الأشعري يجد أن الذي يتفق مع اطلاعه هو أن يختار مذهبا وسطا بعيدا عن المغالاة على أي شكل كانت هذه الآراء، وهو قد اختار ذلك الوسط في الآراء الفلسفية التي لها صلة بالقرآن، وإن كان يتفق مع بعض الفقهاء في كل أمر ورد فيه أثر أو قرآ، ولا يصعب على المتقضي أن يثبت ذلك التوسط في كل فكرة من أفكاره. " (ت، زهرة، 1430هـ/2009م. 174. 175)

3.4 الحسن الشافعي: "فجاء أبو الحسن في أواخر القرن الثالث يعلن الرجوع عن الاعتزال إلى (قول أهل الحق والسنة) وإلى ما كان يقول به أبو عبد الله أحمد ابن حنبل، واختار خطأ ينزع إلى الاعتدال والتوسط في مجال المعرفة بين الوحي والعقل، وفي الإلهيات من التشبيه والتنزيه وفي الإنسانيات بين الجبر والتفويض، ولكن يبدو أنه . كما يقول بعض نقاده . لم يبلغ هذا الوسط تماما، بل يتراوح بين الميل إلى مزيد من الالتزام بالنص أول الأمر، كما تبين من الإبانة، والنزوع إلى شيء من التأويل العقلي، كما قد يفهم من (اللمع) . " (م . الشافعي، 1422هـ/2001م. 72)

4.4 جولد تسيهر: هذا المستشرق ذهب إلى وصف أبي الحسن الأشعري بالوسطية، سواء في مسألة (الكلام أو الصفات)، وهو يعبر عن ذلك بقوله: " على أن الأحزاب المتوسطة من الأشاعرة والماتريدية" كما يقول في موضع آخر: "وهو ظهور نزعات متوسطة منذ القرن العاشر عملت على استخلاص قليل من المذهب العقلي من كلام أو تراث أهل السنة ."، ويقول في موضع آخر أيضا: "إن الأشعري انتقل من وسطية وعقلية إلى ناحية أخرى ابتعد به عن العقلانية ورمت به في أحضان الحنبلية . " (ع . غولدتسيهر، 2009م. 98. 109)

4.5 حمودة غرابة: "تلك الصورة التي رواها أتباعه [يقصد أتباع الأشعري] عنه، والتي تصرح (بالتنزيه والكسب)، فتتجلى لنا تلك الشخصية التي إلهما أنها وحدها التي مكنت الإسلام من اتخاذ طريق وسط بين النقل والعقل، أو بعبارة أخرى بين الحشوية والمعتزلة." (الجويني، اللمع، 1431هـ/2010م. 4)

تلك هي بعض الأقوال التي اقتنصتها أثناء بحثي عن مادة هذا الموضوع، وهي كافية في إظهار تلك الوسطية التي اتّسمت بها الأشعرية على وجه الخصوص ومعها سائر مكونات أهل السنة والجماعة، بتفاوت بين تلك المدارس، وقد تنخرم تلك الوسطية حتى في المدرسة

الواحدة، ولكن ذلك لا يأتي على تلك الوسطية بشكل كلي، أما الوسطية التي ادّعت للسلفية باعتماد بعض أقوال العلماء من أمثال الخطيب البغدادي فهو ميل عن حقيقة الوسطية، فما جاء عنه إنما هو وصف لما كان على عهد السلف حيث غلبة السكوت عليهم، وهو ما أقره الأشعرية أنفسهم، أما الوسطية التي تقف بين طرفي التشبيه والتعطيل فلا تصفو صورتها إلا عند الأشاعرة وحدهم .

5. مظاهر الوسطية في العقيدة:

أرى أن تلك المظاهر شتى، والاجتماع عليها هو الضامن الوحيد للقضاء على كثير من المماترات، والحصن الحصين أمام كل ما يراد لهذه الأمة من الاندحار والاندثار، وما يثار حولها من الشبهات والتشويهاات، والتشكيك في الأصول والفروع، وما يراد بها من البعد عن حقائق الدين وأحكامه، ومن تلك المظاهر:

1. التوفيق بين العقل والنقل، وأن لا تعارض بينهما
2. أن لا يتم الحديث عنها إلا عند الدواعي الشرعية بقصد التعليم والتربية والتزكية
3. المعرفة الصحيحة لها، والتأكيد على أصولها، وترك فروعها والخلافات العلمية حولها إلا لذي أهلية علمية
4. ترك التحدث عن الخلافات التي دارت بين الطوائف، في أوساط العامة وبين من ليس من أهل العلم .
5. أن يكون الكلام في دقائقها والمحااجة بها، بالمناهج العقلية عند مواجهة المخالفين لها .
6. عدم تكفير الفرق الإسلامية، كما لا يجوز تبرئة من يستحق التكفير لغير المسلمين أولاً، أو لمن ارتد عن الإسلام ثانياً، لأن لكل واحد من تلك الأطراف ما يترتب عن تصرفاته من الأحكام الخاصة التي لا يجوز التفريط فيها أو التهاون عنها؛ فكما لا يجوز التساهل في التكفير، لا يجوز التهاون في مقابله .
7. الولاء والبراء من الدين، وهما بقدر مشروع محدود وموزون، والغلو في الطرفين مُذهب للحقوق مؤد إلى الاعتداء، فالبراء من الكافر لا يعني الاعتداء عليه، ولا يعني بُغضه في الظاهر ممّا يقتضي حسن الجوار والإحسان عند وجوب الإحسان، "إن الخطأ في الولاية أهون من الخطأ في البراءة" كما يقول العلماء من أمثال أبي حامد الغزالي، وهكذا دواليك ...
8. التوسط في الحد من زيارة للمقامات والأضرحة، بين من يحاربها بالكلية لأنها من مظاهر الشرك، وبين من يسمح بذلك لما يرجى فيها من البركة والنفع، وطلب الترك منوط بالوجوه

الشرعية، وقد حدّدها علماء أصول الفقه في كتبهم كابي إسحاق الشاطبي في موافقاته .
 9. الوسطية في العقيدة هي أن نوازن بين النصوص الشرعية بميزان صحيح.
 10. الوسطية هي المجال الصحيح لفهم النصوص وإعمالها، وليست إهمالاً لها كما في مسألة رؤية الله يوم القيامة، لا والخلاف فيها بين المعتزلة والأشعرية معلوم.
 11. يمكن أن نقول إن الأشعرية ما كان عليه الأشعري ومن جاء بعده من العلماء كالباقلائي والجويني وأبي حامد الغزالي، فهؤلاء جميعهم استطاعوا أن يحافظوا على هذه الوسطية بتوازن تام لا خلل فيه ؛إلا ما لا يخلو من اجتهاد قد يعتريه الصواب، كما يعتريه الخطأ وذلك قليل من كثير .

6. الخاتمة:

حينما نتكلم عن العقيدة الإسلامية، لا بدّ أن ننبه إلى ذلكم التطور الذي اعتراها عبر العصور، فلو أننا تكلمنا عن عقيدة السلف لقلنا إنها مرت بمراحل، ولكل مرحلة منها خصوصيتها، فمن مرحلة عدم الخوض فيها، والإمرار، والتفويض، إلى مرحلة المداورة والجدال والتأويل، وهي التي تُدرج ضمن ما يسمّى بعقيدة أهل السنة والجماعة.
 فالصحابية ومن تبعهم لم يكونوا يخوضون في مسائل العقيدة، كالذي ظهر في القرون اللاحقة، والتي صار للعقائد فيها علم مستقل يعرف بعلم الكلام، وقد أنكره أمثال الشافعي وشدّدوا النكير، ثم أضحى علما لا يستغني عنه كل من أراد أن يدافع عن معتقداته، وكان لأهل السنة منه نصيب وافر كالأشعرية على وجه الخصوص .

قائمة المراجع

1. أحمد ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، مكتبة المعارف، الرباط — المغرب
2. الآمدي، أباكار الأفكار في أصول الدين، ط الثانية، 1424هـ/2004م، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة — مصر
3. الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ط الثانية، 1417هـ/1997م، دار القلم، دمشق — سوريا
4. البغدادي، الكلام على الصفات، ط الأولى، 1413هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة — مصر
5. البيهقي، الأساء والصفات 1376 هـ، مطبعة السعادة، القاهرة — مصر
6. الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، 1369هـ/1950م، مطبعة السعادة، القاهرة — مصر
7. الجويني، اللمع في الردّ على أهل الزيغ والبدع ط الأولى، 1431هـ/2010م، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة — مصر
8. الذهبي، مختصر العلو العليّ الغفار، 1401هـ/1981م، المكتب الإسلامي، بيروت — لبنان
9. الشافعي، مُجَدِّد الحسن، المدخل إلى دراسة علم الكلام، ط الثانية، 1422هـ/2001م، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي
10. الغزالي، أبو حامد، إجماع العوام عن علم الكلام (مجموعة رسائل الإمام الغزالي)، 2005م، المكتبة التوفيقية، القاهرة — مصر
11. الغزالي، أبو حامد، تهافت الفلاسفة ط الخامسة، 2010م، دار المشرق، بيروت — بيروت